

السموئل المغربي وتُهمة النسخ

شغلت قضية النسخ حيّزاً كبيراً من اهتمام سموئل المغربي في كتابه "إفحام اليهود" وقد يكون سموئل قصد بهذا التركيز ردّ اتهام اليهود للمسلمين بهذه التهمة، ومن ثم إثبات حقيقة يتقبّلها العقل، ولا عيب فيها، وهي أن النسخ لبعض الأحكام والأمور دلالة على الحكمة الربانية التي كانت ترى الحاجة إلى التغيير والتبديل لبعض الأحكام حسبما تراه لازماً تبعاً للزمان والمكان كما رأينا ذلك واضحاً في الآيات القرآنية التي ذكرناها.

صحيح أن مثل تقبل هذا الرأي يعني رفض أزلية الأحكام الربانية والقبول بأن إمكانية التغيير والتبديل عند الرب قائمة ليس فقط في بعض الأحكام وإنما في الأديان أيضاً، لكن حتى لا نساق وراء هذه الأمور التي لا نهاية للبحث فيها نتركز في مواقف سموئل المغربي من هذه القضية والتي تلخص في الأمور التالية:

التزام اليهود بالنسخ

وهو يُثبت ذلك بذكره لبعض الشرائع التي كان معمولاً بها منذ الأيام التي سبقت نزول التوراة، كذلك منذ عهد ابراهيم (٤٥)، وأن هذه الشرائع زيد عليها فيما بعد وغير بعضها مثل تقديس السبت وتحريم الأعمال فيه (٤٦). بينما لم يكن ذلك قبل

نزول التوراة، وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة للسبب فما يمنع أن يظهر نبي يحمل رسالة تأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة التي كانت، وماذا يمنع أن يأمر الله أمة بشريعة ثم ينهي أمة أخرى عنها، ويحرم محظوراً على قوم ويحلّه لأولادهم ثم يحظره ثانياً على من يجيء من بعدهم (٤٧).

أسئلة تثير العقل بمنطقها يطررها السموءل ليؤكد أن النسخ معقول، وأن نبوة محمد صادقة وعلى كل يهودي تقبلها.

ثم ينتقل إلى جانب آخر لإثبات النسخ عند اليهود حيث يركّز حديثه على النجاسة، حيث أقرت التوراة أن من مسَّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير نجساً، وأن المخرج الوحيد من النجاسة يكون فقط برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها. ويبين أن اليهود ابتعدوا عن هذا المنع وتسامحوا فيه وحجتهم انعدام أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام المطهر المستغفر. وإقرارهم بهذا يعني قبولهم بمبدأ النسخ الذي ينكرونه (٤٨). كذلك يأتي بذكر مسّ اعتزال الحائض (٤٩) وغيره من الأمور التي اختلف فيها الرأي. وبزيادتهم في صلواتهم (٥٠) عما كان عليه الأمر أيام موسى ومثل صوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصاره وصوم كدليا (٥١) وغيرها.

كل هذه الزيادات يأتي بها السموءل ليثبت وجود النسخ والعمل به عند اليهود، ويأتي بإثبات أكثر إقناعاً على النسخ بذكره

تفضيل الرب للبُكور من بني إسرائيل ، ولكن الذي حدث ، أن الرب عزل البكور وفضل عليهم اللاويين ، لأنهم عبدوا العجل ولم يستجيبوا لنداء موسى عندما جاءهم بالألواح ، بينما استجاب إليه أبناء ليوي . وعزل الأبقار عن ولاية الإختصاص وأخذ أولاد ليوي عوضاً عنهم ، ليس إلا نسخاً (٥٢).

لم يشر السموءل خلال كل حديثه إلى موقف اليهود الساخر والمتهم للمسلمين بخصوص النسخ والتبديل لبعض الأحكام كما برز ذلك في السيرة النبوية ، وقد يكون السموءل قصد هذا التجاهل كما فعل في القضايا الأخرى التي عاجلها ، وقد يكون اتخذ منهجاً واضحاً يركز فيه على إثبات التهم التي اتهم بها اليهود غيرهم وخاصة المسلمين ، عليهم . فهو بإثبات تهمة النسخ على اليهود بالإستدلال بالنصوص التوراتية والحقائق الدامغة التي لا يستطيع إنكارها أحد منهم ، يكون عملياً قد وصل إلى غايته وهي الدفاع عن المسلمين وإفحام الخصم .

وكما ذكرت فإن موقف السموءل المغربي من قضية النسخ لم يكن موقفاً رافضاً وإنما موقفاً عقلاً نياً تحليلياً واعياً ، مبرزاً نواحي المنطق في وجود النسخ ، ولهذا فهو في إثبات النسخ عند اليهود وفي التوراة لم يهدف إلى الخط من مكانة اليهود ودينهم ، وإنما على العكس ، أراد إثبات حقيقة لم ينكرها في الإسلام ، وإنما قبلها وبين فضائلها وأهميتها . وكما رأينا فإن هذا الموقف غير

الرافض للنسخ قَبْلَ به العديد من العلماء المسلمين ووضّحت
امكانيته ومصداقيته العديد من الآيات القرآنية -والجدل الذي دار
بين العلماء المسلمين، هو حول مفهوم كلمة النسخ، وهل النسخ
قائم في القرآن أم في الحديث، وهل السنة تنسخ القرآن أو القرآن
ينسخ السنة، أو القرآن ينسخ القرآن، وما شابه من هذه المسائل
التي عرضها الأشعري في كتابه القيم "مقالات الإسلاميين" (٥٣).